سورة الكهف

٢٨٢ ـ قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٢٢] بغير واو ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [٢٢] بزيادة واو(١).

فى هذه الواو أقوال أحدهما: أن الأول والثانى وصفان لما قبلهما، أى هم ثلاثة، وكذلك الثانى، أى: هم خمسة سادسهم كلبهم، والثالث: عطف على ما قبله ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وقيل : كل واحد من الثلاثة جملة وقعت بعدها جملة، وكل جملة وقعت بعدها جملة فيها عائد يعود منها إليها، فأنت فى إلحاق واو العطف وحذفها بالخيار، وليس فى هذين القولين ما يوجب تخصيص الثالث بالواو.

وقال بعض النحويين: السبعة نهاية العدد؛ ولهذا كثر ذكرها فى القرآن والأخبار، والثمانية تجرى مجرى استئناف كلام، ومن هنا لقبه جماعة من المفسرين بواو الثمانية، واستدلوا بقوله ـ سبحانه ـ : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾ إلى ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[التوبة: ١١٢] الآية، وبقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وزعموا أن هذه الواو تدل على أن أبوابها ثمانية، ولكل واحد من هذه الآيات وجوه ذكرتها فى موضعها.

وقيل: إن الله حكى القولين الأولين ولم يرضهما، وحكى القول الثالث فارتضاه، وهو قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ ولهذا عقب الأول والثانى بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[٢٢]، ولم يقل فى الثالث. فإن قيل : وقد قال فى الثالث: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [٢٢]؛ فالجواب: تقديره: قل ربى أعلم بعدتهم، وقد أخبركم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، بدليل قوله: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [٢٢]؛ ولهذا قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، فعد أسماءهم.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢١/ ١٠٥)، ومختصر ابن كثير (٢/ ٤١٥)، وزاد المسير (٥/ ١٢٦)، وروح المعانى (١٥/ ٢٤٠)، وراجع فتح الرحمن (ص ٢٤٣، ٢٤٤) مسألة رقم (٣)، والنووى (ص ٢٧٤) مسألة رقم (٢٤٥).

وقال بعضهم: الواو فى قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ [٢٢] يعود إلى الله تعالى، فذكر بلفظ الجمع، كقوله: ﴿أما﴾ وأمثاله، هذا على الاختصار.

٢٨٣ ـ قوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾[(١)][٣٦]، وفى «حم فصلت»: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [٥٠]؛ لأن الرد عن الشىء يتضمن كراهة المردود، ولما كان فى «الكهف» تقديره: ولئن رددت عن جنتى هذه التى أظن ألا تبيد أبدًا إلى ربى، كان لفظ الرد الذى يتضمن الكراهة أولى . وليس فى «حم» ما يدل على الكراهة، فذكر بلفظ الرجع، ليقع فى كل سورة ما يليق بها.

٢٨٤ ـ قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[(٢)][٥٧]، وفى «السجدة»: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [٢٢]؛ لأن الفاء للتعقيب، و ﴿ثم﴾ للتراخى، وما فى هذه السورة فى الأحياء من الكفار، إذ ذُكِّروا فأعرضوا عقيب ما ذُكِّروا، ونسوا ذنوبهم، وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا، وما فى «السجدة» فى الأموات من الكفار؛ بدليل قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [١٢] أى ذُكِّروا مرة بعد أخرى، وزمانًا بعد زمان، ثم أعرضوا عنها بالموت، فلم يؤمنوا، وانقطع رجاء إيمانهم.

٢٨٥ ـ قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾[(٣)][٦١]، وفى الآية الثالثة: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ [٦٣]؛ لأن الفاء للتعقيب والعطف، فكان اتخاذ الحوت للسبيل عقيب النسيان؛ فذكر بالفاء، وفى الآية الأخرى لما حيل بينهما بقوله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[٦٣] زال معنى التعقيب، وبقى العطف المجرد، وحرفه الواو.

---

(١) التفسير الكبير للرازى (٢١/١٢٦، ١٢٧)، وروح المعانى للألوسى (١٥/٢٧٦)، راجع فتح الرحمن (ص ٢٤٥) مسألة (٨)، والنووى (ص ٢٧٥) مسألة (٢٤٧).

(٢) راجع مختصر ابن كثير (٢/٤٢٤)، والكبير (٢١/١٤٢، ١٤٣)، وروح المعانى (١٥/٣٠٣)، والفتح (ص ٢٤٨) مسألة رقم (١٥)، والنووى (ص ٢٧٥، ٢٧٦) مسألة رقم (٢٤٩).

(٣) راجع مختصر ابن كثير (٢/٤٢٦)، والقرطبى (١١/١١)، والطبرى (١٥/١٧٦)، والبحر المحيط (٦/١٤٤)، وروح المعانى (١٥/٣١٤، ٣١٥)، وفتح الرحمن (ص ٢٤٨) مسألة رقم (١٦)، وفتاوى الإمام النووى (ص ٢٧٦) مسألة رقم (٢٥٠)، ومتشابه القرآن (٢/٤٧٩) مسألة رقم (٤٤٤).

٢٨٦ ـ قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[(١)][٧١]، وبعده: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [٧٤]؛ لأن الإمر: العجيب والمعجب، والعجب يستعمل فى الخير والشر، بخلاف النكر[(٢)]، لأن ما ينكره العقل فهو شر وخرق السفينة لم يكن معه غرق، فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه، فصار لكل واحد معنى يخصه.

٢٨٧ ـ قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾[(٣)][٧٢]، وبعده: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾[٧٥]؛ لأن الإنكار فى الثانية أكثر، وقيل: أكد التقريرالثانى بقوله: ﴿لك﴾ كما تقول لمن توبخه: لك أقول، وإياك أعنى، وقيل: بين فى الثانى المقول له لما لم يبين فى الأول.

٢٨٨ـ قوله فى الأول: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[(٤)][٧٩]، وفى الثانى: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾[٨١]، وفى الثالث: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [٨٢]؛ لأن الأول: فى الظاهر إفساد فأسنده إلى نفسه، والثالث: إنعام محض فأسنده إلى الله ـ عز وجل ـ والثانى: إفساد من حيث القتل، إنعام من حيث التأويل؛ فأسنده إلى نفسه وإلى الله عز وجل.

وقيل: القتل كان منه، وإزهاق الروح كان من الله سبحانه. قوله: ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [٧٨] جاء فى الأول على الأصل، وفى الثانى: ﴿تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٨٢] على التخفيف؛ لأنه الفرع.

٢٨٩ ـ قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[(٥)] [٩٧] اختار التخفيف فى الأول؛ لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول، فاختار فيه الحذف، والثانى مفعوله اسم واحد، وهو قوله: ﴿نَقْبًا﴾.

---

(١) الشىء الإمر هو الشىء العجيب، وهذا منقول فى تفسير القرطبى فراجعه ثم (١١/ ١٩) والشىء النكر: هو المنكر، والألوسى (١٥/ ٣٣٧).

(٢) فتح الرحمن (ص ٢٤٨، ٢٤٩) مسألة رقم (١٨)، والنووى (ص ٢٧٦، ٢٧٧) مسألة رقم (٢٥٢).

(٣) الطبرى (١٥/ ١٨٥)، والألوسى (١٥/ ٢٣٧)، والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢١/ ١٥٥).

(٤) الكبير (٢١/ ١٥٩) وما بعدها، وانظر فتح الرحمن (ص ٢٤٩) مسألة (٢٠)، والنووى (ص ٢٧٧) مسألة (٢٥٣).

(٥) راجع النووى (ص ٢٧٧) مسألة رقم (٢٥٤)، وانظر الكبير (٢١/ ١٧٣)، وروح المعانى (١٦/ ٤١).

وقرأ حمزة، بالتشديد وأدغم التاء فى الطاء فى الشواذ، فما استطاعوا بفتح الهمزة، وزنه استفعلوا ومثلها: استخذ فلان أرضًا، أى: أخذ أرضًا وزنه استفعل ومن أهراق ووزنه استفعل، وقيل: استعمل من وجهين، وقيل: السين بدل التاء ووزنه افتعل.

obeikandl.com